

شيعة اليوم سبئية الأمس

أ. د. ناصر القفاري
gamea19822@gmail.com
@prof_algefari

شيعة اليوم هم من يطلق عليهم لقب «الشيعة» في عصرنا، وهم الشيعة الإمامية الإثنى عشرية، ويدخل فيهم الإسماعيلية الباطنية، ولا يدخل فيهم الزيدية؛ لأنهم لم يأخذوا بمقالات الشيعة الغالية.

وإن كان لقب «الشيعة» مختصًا في زماننا بالإثنى عشرية، بحيث إذا أطلق لقب «الشيعة» لا ينصرف إلا إليهم، في نظر جمع من الباحثين[(١)]، إلا أنهم يلقبون بألقاب أخرى تختلف باختلاف العصور والبلدان، فلهم - كما يقول الشهرستاني -: «دعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان»[(٢)].

أما السبئية فلم يعد لها وجود في عصرنا، فقد توارت عن الأنظار، وباتت في نظر جمع من الباحثين في المقالات والفرق من الطوائف المنقرضة والفرق المندثرة.

لكن الحقيقة الغائبة لدى الكثيرين أن السبئية وإن انقرضت واندثرت باعتبارها علمًا على طائفة بعينها إلا أن عقائدها لم تنقرض ولم تندثر، وإنما بقيت عقائدها حية تنبض، حيث تبنت الشيعة الإثنى عشرية المعتقدات السبئية الغالية، وتلقفت آراءها، وورثت غلوها، فالإثنى عشرية في حقيقة الأمر هي السبئية، حتى يقال إن «السبئية» الاسم الأقدم، و«الإثنى عشرية» الاسم الأحدث لحقيقة واحدة.

ومما ينبغي أن يلحظ أن ربط التشيع بالسبئية هو في التشيع المتضمن لهذه الأصول الغالية، أما «التشيع المتوسط والذي مضمونه تفضيل علي رضي الله عنه وتقديمه على غيره ونحو ذلك، فلم يكن هذا من إحداث الزنادقة، بخلاف دعوى النص والعصمة فإن الذي ابتدع ذلك كان منافقًا زنديقًا»[(٣)].

وعبدالله بن سبأ هو رأس الطائفة السبئية التي كانت تقول بألوهية علي رضي الله عنه، كما تقول برجعته، وتطعن في الصحابة، وأصله من اليمن وكان يهوديًا يتظاهر بالإسلام، رحل لنشر فتنته إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة، ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر وجهر ببدعته.

---

(١) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ١٤/٦٨، مستدرك الوسائل ٣/٣١١، روح الإسلام لأمير علي ٢/٩٢، أصل الشيعة وأصولها ص٩٢، الشيعة في التاريخ للعاملي ص٤٣، الغلو والفرق الغالية ص٨٢، أصول الدين وفروعه عند الشيعة لأحمد زكي تفاحة ص٢١، الشيعة والتشيع لإحسان إلهي ظهير ص٩، مجلة كلية الدراسات الإسلامية العدد الأول ١٣٨٧هـ، ص٣٥.

(٢) «الملل والنحل» ١/١٩٢.

(٣) ابن تيمية/ مجموع الفتاوى: ٢٠/٤٦٦.

وقد تكاثر ذكر أخبار فتنته وشـــذوذه وسعيه في التآمر هو وطائفته في كتـــب الفرق والرجال والتاريخ وغيرها من مصادر السنة والشيعة جميعًا[١].

وأكد طائفة من الباحثـين القدماء والمعاصرين أن ابن ســبأ هو أساس المذهب الشــيعي والحجر الأول في بنائه، فابن تيمية يرى أن ابن سبأ أول من أحدث القول بالعصمة لعلي رضـــي الله عنه، وبالنص عليه في الخلافة، وأنه أراد إفساد دين الإسلام، كما أفسد بولس دين النصارى[٢]، وكذا ابـــن المرتضـــى[٣]، ويرى أبو زهرة أن عبدالله بن ســـبأ هو الطاغـــوت الأكبر الذي كان علـــى رأس الطوائف الناقمين على الإســـلام الذين يكيدون لأهله، وأنه قال برجعة علي، وأنـــه وصي محمد ﷺ، ودعا إلـــى ذلك، وذكر أبو زهرة أن فتنة ابن ســـبأ وزمرته كانت من أعظم الفتن التي نبت في ظلها المذهب الشــيعي[٤]، ويرى سعيد الأفغاني أن ابن سبأ أحد أبطال جمعية ســرية (تلمودية) غايتها تقويض الدولة الإسلامية، وأنها تعمل لحساب دولة الروم[٥].

وقد نبتت نابتة من شيعة العصر الحاضر تحاول أن تنكر وجوده بجرة قلم دون مبرر واقعي، أو دليل قاطع[٦]، بل ادعى البعض منهم أن عبدالله بن ســـبأ هو عمار بن ياسر[٧].

وهذه الدعـــوى هي محاولة أو حيلـــة لتبرئة يهود من التآمر على المسلمين، كما هي محاولة أو حيلة لإضفاء صفة الشرعية على شيعة اليوم، والرد على دعوى خصومهم برد أصل التشيع إلى أصل يهودي.

وقد اتفق القدماء من أهل الســـنة والشيعة على السواء على اعتبار ابن ســـبأ حقيقة واقعية، وشـــخصية تاريخية، فكيـــف ينفى ما أجمع عليه الفريقـــان؟! أما القول بأن ابن سبأ هو عمار بن ياسر فهو قول يرده العقل والنقل والتاريخ، وكيف تلصق تلك العقائد التي قال بها ابن ســـبأ بعمار بن ياســـر رضي الله عنه، وهل هـــذا إلا جزء من التجني على الصحابة والطعن فيهم؟!

فماذا تقول كتب الشيعة عن ابن سبأ؟

الشيعي سعد بن عبدالله القمي شيخ الطائفة وفقيهها ووجهها، كما ينعته النجاشي[٨] (المتوفى سنة ٢٢٩-٣٠١هـ) يقر بوجود ابن ســـبأ، ويذكر أســـماء بعض أصحابه الذين تآمروا معه، ويلقب فرقته بالسبئية، ويرى أنها أول فرقة في الإسلام قالت بالغلو، ويعتبر ابن سبأ «أول من أظهر الطعن علـــى أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، وادعى أن عليًّـــا - رضي الله عنه - أمره بذلك»، ويذكر القمي أن عليًّا بلغه ذلك فأمر بقتله ثـــم ترك ذلك واكتفى بنفيه إلى المدائن[٩].

كما ينقل عن جماعة مـــن أهل العلم - كما يصفهم -: «أن عبدالله بن ســـبأ كان يهوديًّا فأسلم، ووالى عليًّا، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بهذه المقالة، فقال في إســـلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ في علي بمثل ذلك، وهو أول من شـــهر بالقـــول بفرض إمامة علي بـــن أبي طالب وأظهـــر البراءة من أعدائـــه وكفّرهم، فمن هاهنا قال من خالف الشـــيعة: إن أصل الرفض مأخوذ من اليهوديـــة»[١٠]. ثم يذكر القمي موقف ابن ســـبأ حينما بلغه نعـــي علي رضـــي الله عنه حيث ادعى أنـــه لم يمت، وقال برجعته، وغلا فيه[١١].

(١) انظر في ذلك: الملطي/ التنبيه والرد ص١٨، الأشعري/ مقالات الإسلاميين: ١/ ٨٦، البغدادي/ الفرق بين الفرق ص٢٣٣، الشهرستاني/ الملل والنحل: ١/ ١٧٤، الإسفراييني/ التبصير في الدين ص٧١-٧٢، الرازي/ اعتقادات فرق المسلمين ص٨٦، ابن المرتضى/ المنية والأمل ص٢٩، ابن حجر/ لسان الميزان: ٣/ ٢٨٩، ابن عساكر/ تهذيب تاريخ دمشق: ٧/ ٤٣١، السمعاني/ الأنساب: ٧/ ٤٦، ابن الأثير/ اللباب: ١/ ٥٢٧، المقدسي/ البدء والتاريخ: ٥/ ١٢٩، تاريخ الطبري: ٤/ ٣٤٠، ابن الأثير/ الكامل: ٣/ ٧٧، ابن كثير/ البداية والنهاية: ٧/ ١٦٧، ابن خلدون/ العبر: ٢/ ١٦١، ١٦٠، الطبري/ تبصير أولي النهى الورقة (١٤) (مخطوط).

ومن مصادر الشيعة: الناشئ الأكبر/ مسائل الإمامة ص٢٢-٢٣، القمي/ المقالات والفرق ص٢٠، النوبختي/ فرق الشيعة ص٢٢، وأورد الكشي عدة روايات في ابن سبأ (رجال الكشي، انظر الروايات رقم: ١٧٠-١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، من ص١٠٦-١٠٨) ، ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة: ٢/ ٣٠٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٤/ ٥١٨.

(٣) المنية والأمل ص١٢٥.

(٤) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية: ١/ ٣١-٣٣.

(٥) انظر: عائشة والسياسة ص٦٠.

(٦) وهو مرتضى العسكري في كتابه: عبدالله بن سبأ ص٣٥ وما بعدها.

(٧) وهو علي الوردي في كتابه (وعاظ السلاطين) ص٢٧٤، وقلده في هذا الشيعي الآخر مصطفى الشيبي في كتابه (الصلة بين التصوف والتشيع) ص٤٠-٤١، ويرى الأستاذ علي البصري أن الوردي هذا مقلد للأستاذ هدايت الوحكيم الهلي أستاذ بجامعة لندن في تلك الآراء والذي نشرها في كتابه: (تخس إمام) أي: الإمام الأول، وأن الوردي قام بنشر ترجمتها تقريبًا في كتابه (وعاظ السلاطين).

(٨) رجال النجاشي ص١٢٦.

(٩) المقالات والفرق ص٢٠.

(١٠) المقالات والفرق ص٢٠.

(١١) المقالات والفرق ص٢١.

هذا ما يقوله القمي عن ابن سبأ، والقمي عند الشيعة ثقة واسع المعرفة بالأخبار[١]، ومعلوماته - عندهم - مهمة نظرًا لقدم فترتها الزمنية، ولأن سعدًا القمي كما روى شيخهم الملقب عندهم بالصدوق قد التقى إمامهم المعصوم - في نظرهم - الحسن العسكري وسمع منه[٢]، ونجد شيخهم الآخر النوبختي يتحدث عن ابن سبأ ويتفق فيما يقوله عن ابن سبأ مع القمي حتى في الألفاظ نفسها[٣]، والنوبختي ثقة معتمد عندهم[٤]، وعالمهم الكشي[٥] يروي ست روايات في ذكر ابن سبأ[٦]، وذلك في كتابه المعروف برجال الكشي والذي هو من أقدم كتب الشيعة المعتمدة في علم الرجال، وتشير تلك الروايات إلى أن ابن سبأ ادعى النبوة وأنه زعم أن أمير المؤمنين هو الله - تعالى الله وتقدس - وأن عليًّا استتابه فلم يتب، فأحرقه بالنار، كما ينقل الكشي لعن الأئمة لعبدالله بن سبأ، وأنه كان يكذب على علي، كقول علي بن الحسين: «لعن الله من كذب علينا إني ذكرت عبدالله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادعى أمرًا عظيمًا، ما له لعنه الله، كان علي رضي الله عنه والله عبدًا لله صالحًا، أخو رسول الله ما نال الكرامة من الله إلا بطاعته»[٧].

ثم قال الكشي بعد ذكر تلك الروايات: «ذكر أهل العلم أن عبدالله بن سبأ كان يهوديًّا فأسلم ووالى عليًّا، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بالغلو، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ في علي رضي الله عنه مثل ذلك، وكان أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وكفّرهم، فمن هاهنا قال من خالف الشيعة: أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية»[٨].

هذه مقالة الكشي وهي تتفق مع كلام القمي والنوبختي وكلهم يوثقون قولهم هذا بنسبته إلى أهل العلم، ثم إن هذه الروايات الست كلها جاءت في رجال الكشي، والذي يعتبرونه أحد الأصول الأربعة التي عليها المعول في تراجم الرجال، وقام الطوسي شيخ الطائفة عندهم بتهذيب الكتاب، فصار عندهم أكثر ثقة وتحقيقًا حيث اجتمع في تأليفه الكشي الذي هو عندهم ثقة، بصير بالأخبار وبالرجال مع الطوسي وهو صاحب كتابين من صحاحهم الأربعة، ومؤلف كتابين من كتبهم الأربعة المعول عليها في علم الرجال عندهم، وما نقلناه عن الكشي هو من تهذيب الطوسي واختياره؛ لأن الأصل - كما يقولون - مفقود لا يعرف له أثر[٩].

ثم إن كثيرًا من كتب الرجال الأخرى عندهم جاءت على ذكر ابن سبأ[١٠]، كما جاء ذكر ابن سبأ في أهم وأوسع كتبهم الرجالية المعاصرة وهو «تنقيح المقال»[١١] لشيخهم عبدالله المقاني[١٢] (ت ١٣٥١هـ).

ولهذا يلحظ أن ثمت اتجاهًا أخيرًا لدى بعض شيوخ الشيعة المعاصرين إلى العدول عن إنكاره، يقول - مثلًا - محمد حسين الزين: «وعلى كل حال فإن الرجل - أي: ابن سبأ - كان في عالم الوجود، وأظهر الغلو، وإن شك بعضهم في وجوده وجعله شخصًا خياليًّا، أما نحن - بحسب الاستقراء الأخير - فلا نشك بوجوده وغلوه»[١٣].

وهكذا تعترف كتب الشيعة أن ابن سبأ هو أول من قال بالوصية لعلي، ورجعته، والطعن في الخلفاء الثلاثة والصحابة، وهي آراء وعقائد أصبحت فيما بعد من أسس المذهب الشيعي، وذلك حينما صيغت هذه الآراء وغيرها على شكل روايات وأحاديث ونسبت لآل البيت زورًا وبهتانًا وجدت القبول لدى كثير من العوام وغيرهم، ولا سيما العجم.

---

(١) انظر: الطوسي / الفهرست ص١٠٥، الأردبيلي / جامع الرواة : ١/ ٣٥٢.
(٢) انظر: ابن بابويه القمي / إكمال الدين ص٤٢٥-٤٥٣.
(٣) انظر: فرق الشيعة للنوبختي ص٢٢-٢٣.
(٤) انظر: الطوسي/ الفهرست ص٧٥، الأردبيلي/ جامع الرواة: ١/ ٢٢٨، عباس القمي/ الكنى والألقاب: ١/ ١٤٨، الحائري/ متقبس الأثر: ١٦/ ١٢٥.
(٥) وهو عندهم «ثقة بصير بالأخبار والرجال» (الطوسي/ الفهرست: ١٧١).
(٦) رجال الكشي ص١٠٦-١٠٨، ٣٠٥.
(٧) المصدر السابق ص١٠٨.
(٨) المصدر السابق ص ١٠٨-١٠٩.

(٩) انظر: مقدمة رجال الكشي ص١٧-١٨، يوسف البحراني/ لؤلؤة البحرين ص٤٠٣.
(١٠) لعل أقدم مصدر عند الشيعة تحدث عن ابن سبأ والسبئية هو كتاب: مسائل الإمامة ص٢٢-٢٣ لعبدالله الناشئ الأكبر (المتوفى سنة ٢٩٣هـ). (راجع ترجمته في: وفيات الأعيان: ٣/ ٩١-٩٢، أنباء الرواة: ٢/ ١٢٨-١٢٩).
ومن كتبهم في الرجال التي جاءت على ذكر ابن سبأ: المازندراني/ منتهى المقال (غير مرقم الصفحات)، الاستراباذي/ منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال ص٢٠٣-٢٠٤، الأردبيلي/ جامع الرواة: ١/ ٤٨٥، ابن داود الحلي/ الرجال: ٢/ ٧١، التستري/ قاموس الرجال: ٥/ ٤٦١ وما بعدها، رجال الطوسي ص٥١.
ومن كتبهم في الحديث والفقه التي جاء فيها ذكر ابن سبأ: ابن بابويه القمي/ من لا يحضره الفقيه: ١/ ٢١٣، الخصال ص٦٢٨، الطوسي، تهذيب الأحكام: ٢/ ٣٢٢، المجلسي/ بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٨٦ وما بعدها.
(١١) تنقيح المقال: ٢/ ١٨٣.
(١٢) انظر: الأعلمي/ مقتبس الأثر: ٢١/ ٢٣٠.
(١٣) الشيعة في التاريخ ص٢١٣.

وأخطر العقائد التي ورثها شيعة اليوم عن سبئية الأمس تأليه علي رضي الله عنه ووصفه بأوصاف لا يوصف بها إلا رب العالمين. تقول روايتهم: «عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبدالله - عليه السلام - فأرعدت السماء وأبرقت، فقال أبو عبدالله - عليه السلام -: أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين - عليه السلام -»[(1)]. يعني كل ما وقع من رعد وبرق فهو من أمر علي، لا من أمر الواحد القهار.

فماذا يستنبط المسلم المنصف من هذه الرواية، والله جل شأنه يقول: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢]؟ أليست هذه هي السبئية قد أطلت برأسها المشوه من خلال كتب الإثنى عشرية؟ أليس هذا ادعاء لربوبية علي رضي الله عنه، أو أن له شركًا في الربوبية؟

جاء في بعض روايات كتاب «سليم بن قيس» مخاطبة علي بهذه الألقاب: «يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن، يا من هو بكل شيء عليم»، ويقول: «إن هذا الوصف صدر من الشمس لعلي وأنه سمعه أبو بكر وعمر والمهاجرون والأنصار فصعقوا ثم أفاقوا بعد ساعات»[(2)]، وهذه الأوصاف هي آثار السبئية التي تؤله عليًا، والتي ورثتها الإثنى عشرية، وأبقت عقائدها في مصادرها، ونسبتها لآل البيت، فأزرت على الآل بهذا وأمثاله، وهي تدعي التشيع لهم، وهذه أوصاف لرب العالمين، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وهذه العقائد السبئية التي تذهب إلى القول بألوهية علي رضي الله عنه، وهذا الأثر السام لا يزال ينخر في كيان الإثنى عشرية، ولا يزال إلى اليوم بعض شيوخ هذه الطائفة يصرح ويجاهر بهذه المقالة، فهذا أحد شيوخهم ويدعى عبدالحسين العاملي (أحد آياتهم التي ينسبونها - زورًا - إلى الله سبحانه)، يقول هذا العاملي في مدح أمير المؤمنين علي - برأه الله مما يفترون -:

أبا حسن أنت عين الإله
وعنوان قدرته السامية
وأنت المحيط بعلم الغيوب
فهل عندك تعزب من خافية
وأنت مدير رحى الكائنات
وعلة إيجادها الباقية
لك الأمر إن شئت تنجي غدًا
وإن شئت تسفع بالناصية[(3)]

انظر كيف جعل مخلوقًا من مخلوقات الله هو الإله بعينه، والمتصف بما للرب من تدبير وإحياء وإماتة، فهو مدبر أمر الكائنات وعلة إيجادها ومظهر القدرة الإلهية، وهو المحيط بعلم الغيب، بل هو مالك يوم الدين، إذ له الأمر في ذلك اليوم، ونجاة العباد، وهلاكهم بمشيئته؟![(4)].

وقد صنف شيخ الإسلام ابن تيمية الشيعة إلى ثلاث درجات، شرها الغالية، وهم الذين يجعلون لعلي شيئًا من الألوهية، أو يصفونه بالنبوة[(5)].

كما تلقفت الشيعة الإثنى عشرية من السبئية اعتقاد أن الله سبحانه قد اختص أئمتهم الاثني عشر بعلم القرآن كله، وأنهم اختصوا بتأويله، وأن من طلب علم القرآن من غيرهم فقد ضل.

وتذكر بعض مصادر أهل السنة أن بداية هذه المقالة، وجذورها الأولى ترجع لابن سبأ فهو القائل بأن «القرآن جزء من تسعة أجزاء، وعلمه عند علي»[(6)]، وهي مقالة مجملة لم يفصح فيها عن مراده، وقد يوضحها ما جاء في رسالة الحسن بن محمد بن الحنفية (ت٩٥هـ) وهو قوله: «ومن خصومه هذه السبئية التي أدركنا يقولوا (كذا) هدينا لوحي ضل عنه الناس وعلم خفي، ويزعمون أن نبي الله ﷺ كتم تسعة أعشار القرآن، ولو كان نبي الله كاتمًا شيئًا مما أنزل الله لكتم شأن امرأة زيد ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [**الأحزاب**: ٣٧]»[(7)].

(١) المفيد/ الاختصاص ص٣٢٧، بحار الأنوار: ٢٧/ ٣٣، البرهان: ٢/ ٤٨٢.
(٢) كتاب سليم بن قيس ص٣٨ ط: الأعلمي، وص٣١-٣٢ ط: النجف.
(٣) ديوان الحسين/ الجزء الأول من القسم الثاني الخاص بالأدب العربي ص٤٨.
(٤) بل صرح شاعرهم الآخر بأن عليًا تجمعت فيه كل صفات الإله، حيث قال:
جميع صفات الرب فيه تجمعت ... وما اجتمعت إلا لسر وحكمة
(انظر: الحائري/ مقتبس الأثر: ١/ ٢٤٦).
(٥) ابن تيمية/ التسعينية ص٤٠ ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام، المجلد (٥) ط: كردستان ١٣٢٩هـ.
(٦) الجوزجاني/ أحوال الرجال ص٣٨.
(٧) كتاب الإيمان، لمحمد بن أبي عمر المكي العدني ص٢٤٩-٢٥٠ (مخطوط)، وقد طبع الكتاب بتحقيق حمد بن حمدي الجابري الحربي، ط: الدار السلفية - الكويت، وقد تحرفت فيه كلمة (السبئية) إلى (الشبيبة)!! ص١٤٥.

وفي كتاب «أحوال الرجال» أن عبدالله بن سبأ زعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي رضي الله عنه[(١)].

وقد استفاض ذكر هذه المقالة في كتب الإثنى عشرية بألوان الأخبار وصنوف الروايات، فجاء في أصول الكافي في خبر طويل عن أبي عبدالله قال: «إن الناس يكفيهم القرآن ولو وجدوا له مفسرًا، وإن رسول الله – صلى الله عليه وآله – فسره لرجل واحد، وفسر للأمة شأن ذلك الرجل وهو علي بن أبي طالب»[(٢)]، وجاء في طائفة من مصادر الشيعة المعتمدة لديهم أن رسول الله – صلى الله عليه وآله – قال: «إن الله أنزل عليَّ القرآن وهو الذي من خالفه ضل، ومن يبتغي علمه عند غير عليٍّ هلك»[(٣)]، وفي تفسير فرات: « ... إنما على الناس أن يقرأوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره فالاهتداء بنا وإلينا»[(٤)].

ومن العجب أنهم بدعواهم أن علم القرآن عند الأئمة نسبوا إلى الأئمة علم كل شيء، فيقول أبو عبدالله – كما يزعمون –: «إني لأعلم ما في السموات وأعلم ما في الأرضين، وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون، ثم مكث هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه، فقال: علمت ذلك من كتاب الله، إن الله يقول: فيه تبيان كل شيء»[(٥)].

لاحظ أن هذا النص الذي يزعم صاحبه – ونبرئ جعفرًا منه، فإمامته ودينه ينفيان ذلك عنه – العلم بكل شيء الذي هو من خصائص الله جل وعلا يجهل أقرب الأشياء لديه وهو القرآن، حيث إن القرآن ليس فيه «تبيان كل شيء» وإنما هذا تحريف لقول تعالى: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [**النحل**: ٨٩] وهو يزعم أن هذه آية من القرآن، ففضحه الله بذلك، وهذا برهان أن هذه النصوص من وضع ملحد اندسَّ في صفوف المسلمين للكيد للإسلام وأهله.

وكتب الشيعة تقول: ليست من وظيفة الرسول ﷺ بيان القرآن للناس، وإنما مهمته بيان «شأن ذلك الرجل وهو علي بن أبي طالب» أما بيان القرآن للناس وتفسيره فهو رسالة علي لا محمد ﷺ – كما مر –[(٦)].

وقد وجد لهذه المقالة أصل في حياة أمير المؤمنين، وأظهرت السبئية القول بأن عند علي رضي الله عنه غير ما عند الناس، فنفى أمير المؤمنين ذلك نفيًا قاطعًا، وقال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهمًا يعطى رجل في كتابه...»[(٧)].

وكذلك ورثت الإثنى عشرية التأويل الباطني من السبئية؛ لأن ابن سبأ هو الذي حاول أن يجد لقوله بالرجعة مستندًا من كتاب الله بالتأويل الباطل، وذلك حينما قال: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدًا يرجع، وقد قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾ [**القصص**: ٨٥][(٨)].

ويرى بعض الباحثين[(٩)] أن أول كتاب وضع الأساس لهذا اللون من التأويل الباطني هو تفسير القرآن الذي وضعه في القرن الثاني للهجرة «جابر الجعفي»[(١٠)]، قال ابن حبان: «كان سبئيًّا من أصحاب عبدالله بن سبأ»[(١١)].

ومن أمثلة ذلك أنهم يؤولون الإله في كتاب الله بالإمام، فقوله تعالى: ﴿**لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾ [**النحل**: ٥١]، قال أبو عبدالله – كما يزعمون –: «يعني

(١) الجوزجاني/ أحوال الرجال ص٣٨.

(٢) أصول الكافي: ١/٢٥، ووسائل الشيعة: ١٨/١٣١.

(٣) وسائل الشيعة: ١٨/١٣٨، وانظر: بحار الأنوار: ٧/٣٠٢، ١٩/٢٣، الطبري (الرافضي)/ بشارة المصطفى ص١٦، أمالي الصدوق ص٤٠.

(٤) تفسير فرات ص٩١، ووسائل الشيعة: ١٨/١٤٩.

(٥) الكافي: ١/٢٦١، البحار: ٤٧/٣٥.

(٦) وكلام الإثنى عشرية هنا يذكر بكلام فرقة من فرق الغلاة وهي الغرابية التي قالت: إن محمدًا ﷺ كان أشبه بعلي رضي الله عنه من الغراب بالغراب، وأن الله عز وجل بعث جبريل – عليه السلام – بالوحي إلى علي رضي الله عنه فغلط جبريل – عليه السلام – وأنزل الوحي على محمد ﷺ انظر: (ابن حزم/ الفصل: ٥/٤٢، وانظر: البغدادي/ الفرق بين الفرق ص٢٥٠، الإسفراييني/ التبصير في الدين ص٧٤، ابن المرتضى/ المنية والأمل ص٣٠، الملطي/ التنبيه والرد ص١٥٨ وسماها (الجمهورية).

(٧) أخرجه البخاري ح(٣٠٤٧).

(٨) انظر: تاريخ الطبري: ٤/٣٤، تاريخ ابن الأثير: ٣/٧٧.

(٩) جولد سيهر/ مذاهب التفسير الإسلامي ص٣٠٣–٤٠٤.

(١٠) جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي، توفي سنة (١٢٧هـ)، كان يقول: إن عليًا رضي الله عنه يرجع إلى الدنيا، وروى العقيلي بسنده عن زائدة أنه قال: جابر الجعفي رافضي يشتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال النسائي وغيره: متروك. وقال يحيى: لا يكتب حديثه ولا كرامة، قال ابن حجر: ضعيف رافضي. (انظر: ميزان الاعتدال: ١/٣٧٩–٣٨٠، تقريب التهذيب: ١/١٢٣، الضعفاء للعقيلي: ١/١٩١–١٩٦) .

أما في كتب الشيعة فأخبارهم في شأنه متناقضة، فأخبار تجعله ممن انتهى إليه علم أهل البيت، وتضفي عليه صفات أسطورية من علم الغيب ونحوه، وأخبار تطعن فيه، لكنهم يحملون أخبار الطعن فيه على التقية، ويقولون بتوثيقه كعادتهم في توثيق من على مذهبهم، وإن كان كاذبًا. (انظر: وسائل الشيعة: ٢٠/٥١، رجال الكشي ص١٩١، جامع الرواة: ١/١٤٤).

(١١) المجروحين: ١/٢٠٨.

بذلك لا تتخذوا إمامين إنمـــا هو إمام واحد»[1]، والرب هو الإمـــام عندهم، ولا يرد على بالك القول بأن للرب في اللغة اســـتعمالات أخرى كرب البيـــت، ورب المال بمعنى صاحب، ولكـــن يمنع من ذلك أن تأويلهم للرب بالإمام جرى في آيات هي نص في الله ســـبحانه ولا تحتمـــل وجهًا آخر كما نرى في الشـــواهد المذكورة، وفي قوله ســـبحانه عن المشركين: ﴿وَيَعْبُـدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِـيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥] قال القمي في تفسيره: «الكافر: الثاني (يعنـــي عمر رضي الله عنه وأرضاه) كان على أمير المؤمنين - عليه السلام - ظهيرًا»[2]. فاعتبر أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه هو الرب.

وقال الكاشـــاني في «البصائر»[3] عـــن الباقر - عليه السلام - أنه سئل عن تفسيرها فقال - كما يفترون -: «إن تفســـيرها في بطن القرآن: عليّ هو ربه في الولاية، والرب هو الخالق الذي لا يوصـــف»[4]، فهذا قد يفهم منه أن عليًّا هو الرب الذي لا يوصف - كما يفترون -؛ لأن الآية نص في حق الباري سبحانه؟!

وقد حاول صاحب تفســـير «الصافي» تفادي هذا الأمر فقال فـــي توضيح النص الســـالف: «يعنـــي أن الرب على الإطلاق الغير المقيد بالولاية هو الخالق جل شأنه»[5]. ولكن نـــص الآية لا يؤيده فيما ذهب إليه؛ إذ إن «الرب» الوارد في الآية لـــم يقيد بالولاية، فهو لا ينصـــرف إلا إلى الحق جل شأنه، وليس هناك أية قرينة صارفة للفظ عن معناه؛ ولهذا قال طائفة من الســـلف في تفســـيرها: «وكان الكافر معينًا للشيطان على ربه، مظاهرًا له على معصيته»[6].

ومن أصول الشيعة التي سارت فيها على خطى السبئية «أنه لا يجوز للرعية اختيار إمام، بل لابد فيه من النص»[7]، «فالإمامة لا تكون إلا بالنص»[8]، وأن الرسول ﷺ نص على علي رضي الله عنه وأولاده[9]، فهم الأئمة إلى أن تقوم الساعة، وهذه المقالة هي من أصول دين السبئية، فإن السبئية - كما يقول القمي، والنوبختي، والشهرستاني وغيرهم - أول فرقة قالت بفرض إمامة علي بن أبي طالب[10].

كمـــا أن الســـبئية أول فرقة قالت بالوقـــف على علي رضـــي الله عنه[11] وغيبته[12]، حيث زعمت «أن عليًّا لم يقتل ولم يمـــت، ولا يقتل ولا يموت حتى يســـوق العرب بعصاه، ويملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت ظلمًا وجورًا»[13]، وقد أصبحت عقيدة الغيبة والمهدية من أركان المذهب الشـــيعي التي يقوم عليها[14].

ومن عقائد السبئية القول بالرجعة، إذ لما بلغ عبدَالله بن سبأ نعيُ علي رضي الله عنه بالمدائن قال للذي نعاه: «كذبت، لو جئتنا بدماغه في ســـبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلًا لعلمنـــا أنه لم يمت ولم يقتـــل، ولا يموت حتى يملك الأرض»[15]، وظلت تنتظر عودته من غيبته.

وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية، والكيسانية وغيرها، ولكنها صارت عند الإثنى عشرية رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة[16]، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت[17]، والراجعون إلى الدنيا - كما يعتقدون -: «فريقان: أحدهما: من علت درجته في الإيمان.. والآخر من بلغ الغاية في الفساد»[18].

ويشير الألوسي إلى أن تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة من رجعة الإمام فقـــط إلى ذلك المعنى العام كان في القرن الثالث[19].

ولذلك عـــدّ أهل العلم القول بالرجعـــة إلى الدنيا بعد الموت من أشد مراحل الغلو في بدعة التشيع. قال ابن حجر: «التشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة، فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غالٍ في تشيعه ويطلق عليه رافضي، وإلا

(١) تفسير العياشي: ٢/ ٢٦١، البرهان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٧٣، تفسير نور الثقلين: ٣/ ٦٠.
(٢) تفسير القمي: ٢/ ١١٥.
(٣) يعني بصائر الدرجات لشيخهم الصفار.
(٤) لاحظ في هذا النص إشارة إلى مذهبهم في تعطيل الله من صفاته، وانظر النص في: تفسير الصافي: ٤/ ٢٠، البرهان: ٣/ ١٧٢، تفسير نور الثقلين: ٤/ ٢٥، مرآة الأنوار ص٥٩.
(٥) تفسير الصافي: ٤/ ٢٠، مرآة الأنوار ص٥٩.
(٦) تفسير الطبري: ١٩/ ٢٦-٢٧، تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٣٨.
(٧) الحر العاملي: الفصول المهمة في أصول الأئمة ص١٤٢، وانظر: ابن المطهر/ نهج المسترشدين ص٦٣.
(٨) المظفّر/ عقائد الإمامية ص١٠٣.
(٩) الكليني/ أصول الكافي: باب ما نص الله ورسوله على الأئمة: ١/ ٢٨٦ وما بعدها.
(١٠) المقالات والفرق ص٢٠.
(١١) أي لم تسق الإمامة لمن بعده.
(١٢) القمي/ المقالات والفرق ص١٩-٢٠، النوبختي/ فرق الشيعة ص٢٢، الشهرستاني/ الملل والنحل ١/ ١٧٤.
(١٣) المقالات والفرق ص١٩، فرق الشيعة ص٢٢، مقالات الإسلاميين ١/ ٨٦.
(١٤) انظر فصل (المهدية والغيبة) في: أصول مذهب الشيعة: ٢/ ٤٥٣ وما بعدها.
(١٥) فرق الشيعة ص٢٣، المقالات والفرق ص٢١.
(١٦) المفيد/ أوائل المقالات ص٥١.
(١٧) الحر العاملي/ الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة ص٢٩.
(١٨) المفيد/ أوائل المقالات ص٩٥.
(١٩) روح المعاني: ٢٠/ ٢٧، وانظر: أحمد أمين/ ضحى الإسلام ٣/ ٢٣٧.

فشـــيعي، فإن انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغض فغالٍ في الرفض، وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشـــد في الغلو»[1].

والشيعة الإمامية جعلت نسبة البداء إلى الله من أصول عقائدهـــا وقالت: «ما عبد الله بشـــيء مثل البداء»[2]، «وما بعث الله نبيًا قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء»[3]، «ولو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه»[4].

وفي صحيحهـــم «الكافي» باب في هـــذا بعنوان «باب البداء» وقد جاء ضمن كتاب التوحيد! وأورد في هذا الباب ١٦ حديثًا من أحاديثهم كلها في البداء[5].

وفي «البحار» للمجلســي ذكر أحاديــث البداء في باب بعنوان: «البداء والنسخ» وذكر فيه ٧٠ حديثًا[6].

وقد تلقفت الشـــيعة الإثنى عشـــرية هذه العقيدة من السبئية الذين «يقولون بالبداء؛ إن الله تبدو له البداوات»[7]. فالبداء فرية يهودية، حاولت الســـبئية أن تدخلها في عقائد المسلمين.

والبداء في اللغة له معنيان:

الأول: الظهور والانكشاف.

الثاني: نشأة الرأي الجديد[8].

والبداء بهذين المعنيين لا تجوز نسبته إلى الله.

وشـــهدت كتب الشيعة بأن ابن ســـبأ وجماعته هم أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان أصهار رســـول اللـــه ﷺ وأرحامه وخلفائه وأقـــرب الناس إليه والطعن في الصحابة الآخرين، وقررت أن ابن ســـبأ «كان أوّل من أظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وكفّرهم»[9].

وقد صارت هـــذه البراءة والتكفير لجميع الصحابة من أصول دين الشـــيعة الإثنى عشرية، فدواوين الشيعة

(١) هدي الساري مقدمة فتح الباري ص٤٥٩.
(٢) الكافي، كتاب التوحيد، باب البداء ١/١٤٦.
(٣) المصدر السابق ١/١٤٨.
(٤) المصدر السابق ١/١٤٨.
(٥) المصدر السابق ١/١٤٦- ١٤٩.
(٦) البحار ٤/٩٢- ١٢٩.
(٧) الملطي/ التنبيه والرد ص١٩.
(٨) انظر: الصحاح ٦/٢٢٧٨، القاموس المحيط ٤/٣٠٢، ولسان العرب ١٤/٦٦، وانظر هذا المعنى في كتب الشيعة مثل: مجمع البحرين للطريحي ١/٤٥.
(٩) رجال الكشّي ص١٠٨-١٠٩، القمّي/ المقالات والفرق ص٢٠، النوبختي/ فرق الشيعة ص٢٢، الرازي/ الزينة ص٣٠٥.

مليئـــة باللعن والتكفير لمن رضي الله عنهم ورضوا عنه، مـــن المهاجرين والأنصار، وأهل بـــدر، وبيعة الرضوان، وســـائر الصحابة أجمعين، ولا تســـتثني منهم إلا النزر اليســـير الذي لا يبلغ عدد أصابع اليد، وأصبحت هذه المســـألة بعد ظهور كتبهم وانتشارها من الأمور التي لا تحجب بالتقية.

روى ثقتهم الكليني في الكافـــي: «عن حمران بن أعين قـــال: قلت لأبي جعفر - عليه السّـــلام -: جعلت فداك، ما أقلنا لو اجتمعنا على شـــاة مـــا أفنيناها؟ فقال: ألا أحدّثك بأعجب من ذلك، المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا - وأشـــار بيده - ثلاثة»[10].

علّق هنا شـــيخهم المعاصر علي أكبـــر الغفاري فقال: «يعني أشـــار - عليه السّلام - بثلاث من أصابع يده، والمراد بالثّلاثة: سلمان وأبو ذر والمقداد»[11].

جاء في رجال الكشـــي: «كان النـــاس أهل الردة بعد النبـــي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثـــة؟ فقال: المقداد بن الأســـود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، ثم عرف الناس بعد يســـير، وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا لأبي بكر حتى جاؤوا بأمير المؤمنين مكرهًا فبايع»[12].

إن هذه هي الســـبئية خرجت لنـــا اليوم متلفعة برداء الإثنى عشرية، وما كنا نظن أن للسبئية وجودًا حتى نظرنا في كتب الروافض، فوجدنا أفكار ابن ســـبأ قد خلدت في دواوين الإثنى عشـــرية المعتمدة، فأبقت الإثنى عشـــرية عقائـــد الســـبئية الغالية حية من خلال هـــذه الدواوين، وحفظت عقائد الســـبئية من الانقراض والاندثار بفضل هذه الروايات.

فالحقيقة الغائبة على الكثير أن الشـــيعة هي الاســـم الأقدم والإثنى عشـــرية هي الاسم الأحدث لحقيقة واحدة هي الســـبئية، وإنما غابت هذه الحقيقة بسبب تسمي هذه الطائفة باسم «الشيعة» وهم ليسوا في حقيقة الأمر بشيعة، كما ســـيأتي بيانه - إن شاء الله - في دراسة قادمة بعنوان «شيعة اليوم ليسوا بشيعة».

(١٠) أصول الكافي ٢/٢٤٤، وانظر: رجال الكشي ص٧، بحار الأنوار ٢٢/٣٤٥.
(١١) الكافي ٢/٢٤٤ (الهامش).
(١٢) رجال الكشي ص٦، الكافي: كتاب الروضة ١٢/٣٢١-٣٢٢ مع شرح جامع للمازندراني.